مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ:2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

عامل الدين ضمن صراع القوى الفاعلة بالحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن 10هـ /16م

Religious reason for power struggles affecting the Western bassin Mediterranean during the 16th century

سماحي جواد
جامعة تيارت -الجزائر -
smahijawad7@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/02/29 تاريخ القبول: 2021/01/31

الملخص:

يستهدف هذا المقال إثارة مسألة الصراع القائم بين القوى المؤثرة في الحوض الغربي للمتوسط مع نهاية القرن الخامس عشر وخلال القرن السادس عشر، ويركز على الوجه الديني من هذا الصدام، حيث شكل المنطلق الديني محركا للتموقع في هذه الفترة التاريخية الهامة، نظرا لما شهدته من تحولات مختلفة، على مستوى العالم الإسلامي من جهة والعالم الغربي النصراني من جهة أخرى، في جميع المجالات الحضارية منها والإستراتيجية في جوانبها السياسية والاقتصادية، مثّل فيها حوض المتوسط فضاء جغرافيا حساسا تأثر بهذه التحولات الجوهرية، وأخذت تتصارع فيه قوى الضفة الشمالية الأوربية المسيحية، مع بلدان العالم الإسلامي في الضفة المقابلة.

وقد كانت منطلقات هذا الصراع انعكاسا مباشرا لما أنتجه عصر النهضة في أوربا، وكذا حركة الكشوفات الجغرافية التي ازدادت وتيرتها مع مطلع القرن 16م، حملت روح الحركة التوسعية الاستعمارية، والحرب الصليبية المغذاة بخلفية الحقد على المسلمين، في حين حدث تراجع لدى العالم الإسلامي، الذي فقد بدوره آخر معقل رسمي له في الأندلس بسقوط غرناطة 1492م،

الكلمات المفتاحية: الدين/الصراع/القوى الفاعلة/ الحوض الغربي / المتوسط / القرن10هـ/16م.

المؤلف المرسل: سماحي جواد: smahijawad7@gmail.com

Abstract:
This article deals with the issue of the conflict between the influential powers in the western Mediterranean region, at the end of the fifteenth century and throughout the sixteenth century, and focuses on the religious aspect of this clash, as the religious reason was an engine of positioning in this important historical period, given what it witnessed Various transformations, at the level of the Islamic world on the one hand and the Christian world in the West on the other, in all civilizational and strategic fields, in its political and economic aspects, the Mediterranean basin was the geographical space in which these transformations took place, so the North European Christian forces struggled with the countries of Islamic world in the southern bank opposite.

Keywords:
(theconflict;religious;influentialpowers;Mediterranean; sixteenth century)

1. -مقدمة: مثل حوض البحر الأبيض المتوسط فضاءا عالميا هاما على مر التاريخ، لما اتسم به من خصوصية استراتيجية على الصعيد الحضاري السياسي والاقتصادي فكان موطن الحضارات الإنسانية المختلفة، وتسابقت إليه القوى الكبرى بغية التحكم في الطرق والممرات العالمية، خاصة مع بداية الفترة الحديثة من التاريخ، وقد كان جزؤه الغربي منطقة تحولات وصراعات بين القوى المؤثرة، فمع سقوط الأندلس بخروج غرناطة عن حكم المسلمين 1492م، على يد قوى التوافق المسيحي بإسبانيا، دأبت هذه الأخيرة إلى التحرك بسرعة إلى الضفة الجنوبية قصد توسيع رقعة الدولة المسيحة والانتقام من مسلمي الاندلس القاصدين بلدان المغرب الإسلامي في الشمال الإفريقي، مستغلة وضع الفراغ السياسي الذي احدثته حالة الضعف والتمرد والتمزق الحاصل في أنظمة الحكم بالمنطقة، ومدفوعة بنزعة التوسع المتنامية بالنتائج المبكرة لحركة الكشوف الجغرافية، وهو الوقت الذي وصلت فيه قوة منافسة أخرى إلى المنطقة باعتبارها صاحبة الأحقية في إعادة الاعتبار لديار الإسلام وحاملة لواء الخلافة الإسلامية المتجددة، تمثلت في الدولة العثمانية من خلال جهود الإخوة بربروس مع مطلع القرن 16م، ثم الجهود الرسمية تحت رعاية السلطان المبادر سليم الأول، الأمر الذي أربك الخطة الإسبانية خاصة مع تأسيس الجزائر كأول إمارة عثمانية بمنطقة المتوسط الغربي.

أمام هذا الجو المشحون بتضارب المصالح وصدام الأهداف، كان الوجه الديني أبرز ما يوصف به هذا الصراع، بين طرف يمثل العالم الإسلامي ويسعى لحماية دياره من الطرف الأوربي المسيحي، تمثله وتتزعمة الدولة العثمانية، وطرف آخر تتزعمه اسبانيا الكاثوليكية المدفوعة بنزعة الحروب الصليبية على ديار الإسلام، من خلال حروب الاسترداد بمباركة البابوية المتعصبة. من هنا يجد الباحث نفسه أمام إشكالية كبرى تتمحور أساسا حول أهمية العامل الديني على مستوى الضفتين الشمالية والجنوبية في إذكاء نار الصراع. فكيف تم استغلال النداء الديني للدفاع عن الأرض ومن فيها، وعن المصالح الاقتصادية والتوجهات السياسية؟ وهل كان لهذا النداء تأثير قوي في ظل الخلافات داخل الضفة الواحدة؟ أم تهاوى أمام التعنت الشخصي وغلبة المصالح الذاتية سواء على مستوى الأفراد أو الكيانات السياسية؟

2. - الملامح العامة للحوض الغربي من المتوسط مع نهاية القرن الخامس:

مع بداية النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي شهد حوض المتوسط عامة معطيات جديدة مثلت في مجموعها ملامح لتشكل أقطاب تأثير جديدة، ترسم الخصائص السياسية والاقتصادية والحضارية في هذا الفضاء الجغرافي الاستراتيجي، فالضفة الجنوبية التي يمثلها المغرب كانت تعيش انحطاطا سياسيا وعسكريا وتدهورا اقتصاديا نتيجة الفوضى والصراع الذي طال الدويلات الثلاث " الحفصية، الزيانية والمرينية" (وولف، 2015، صفحة 23)، في حالة ميزها الانفلات والتطاحن العسكري بين دول المغرب التي تحد بعضها البعض، وداخل عرش الواحدة منهم، حيث كانت الجزائر مسرحا لهذه الحالة أكثر من جارتيها لخصوصيتها الجغرافية ولضعف السلطة المركزية لدى بني زيان (عباد، 2012، صفحة 07)، وهذا الوضع غيّب ملامح الدولة الموحدة في بلاد المغرب سيما الأوسط منه والأدنى، فساد منطق العصيان وتمردت القبائل هنا وهناك، وانفرد حكام بعض الإمارات رافضين الامتثال للسلطان وناقضين للولاء، وبذلك تفاقمت المشاكل والاضطرابات السياسية والاقتصادية في سائر البلاد (عباد، 2012، صفحة 11،12)، فكان الانحلال والتمزق في عموم المجالات هو حال منطقة الشمال الإفريقي، بحيث لم يكن واقع أي دويلة من دويلاته أحسن من الأخرى (العلاف، 2010، صفحة 29).

وبخلاف هذا الوضع فإن الضفة الشمالية التي تمثلها بلدان أوربا الجنوبية الغربية كانت تشهد تحولات كبرى، ففي الجانب السياسي كانت الحركة القومية تنتشر ملامحها بسرعة، محاولة إحداث القطيعة مع عهد التحجر والإقطاع الذي ميز فترة العصور الوسطى، فتشكلت دول مركزية موحدة بأنظمة سياسية ملكية متصالحة مع البرجوازية الجديدة، وحائزة على مزايا وامتيازات الحكم المطلق، عكفت بكل حرص وجموح وبدعوى القومية وروح التعصب القومي، على التوسع إلى خارج القارة، وهو ما تجسد فعليا مع نهاية القرن15م وبداية القرن16م في حركة الكشوف الجغرافية، التي كان الوفاق الملكي مع البابوية أول المبادرين إليها انطلاقا من إسبانيا والبرتغال (رمضان ع.، 1997، صفحة 185).

وفي الجهة الشرقية واصل السلاطين العثمانيون توسعاتهم بعد نجاح محمد الفاتح(أنظر التعليق رقم01) في الاستيلاء على القسطنطينية عام 1453م، وهو السلطان الذي رسخ الذهنية العالمية للدولة من خلال اتّسامها بالصفة المتوسطية (أورتايلي، 2014، صفحة 42)، لكون دخول القسطنطينية تحت سلطته شكل عامل دعم لممتلكات الدولة العثمانية، وفرض هيبتها على العالمين الإسلامي والأوربي (أنظر التعليق رقم02)، إذ أن هذا النجاح الاستراتيجي الحاصل كان بمثابة كسر حاجز تاريخي استعصى على المسلمين كثيرا، وبذلك تحطم الحاجز الجغرافي أمام زحف المسلمين اتجاه مناطق نفوذ القوى الأوربية (طقوس، 2013، صفحة 113،114).

استمرت على نهج محمد الفاتح جهود بايزيد الثاني وسليم الأول من بعده في قارة أوربا، مما يجعل هذه التحركات تساهم في زيادة حدّة التنافس السياسي والديني بين الشرق والغرب، هذا الأخير الذي كانت تجري فيه أحداث أخرى تتجه إلى صياغة الجهود في شكل تكتل أو حلف لإعادة التموقع، ومن ثمة إلى حشد الوسائل قصد مواجهة التوسع الإسلامي العثماني الذي تولى الأتراك العثمانيون تأطيره وقيادته (روسي، 1991، صفحة 167).

كما شكل فتح القسطنطينية عامل توجس حقيقي في أوربا، لكون هذه المدينة ذات الرمزية الدينية والحضارية كانت تمثل القاعدة المركزية التي ينطلق منها العداء للعثمانيين، ولعل أهم ما يؤكد ذلك إقدام السلطان محمد

الفاتح بعد أن دانت له المدينة، على الأمر بإقامة الآذان في كنيسة أيا صوفيا(أنظر التعليق رقم03) معلنا دخولها تحت راية الإسلام (المنعم، 1990، صفحة 90).

أما الجهة الغربية من حوض المتوسط فقد توافرت بها مجموعة من الظروف والمعطيات رجحت كفة الغلبة لصالح القوى المسيحية، فدولة المسلمين في الأندلس كانت تمر بأصعب مرحلة لها من الضعف والشتات.

3. - تراجع دور المسلمين في الأندلس وأثره على موازين القوى في الحوض الغربي للمتوسط:

شكل سقوط الأندلس بخروج غرناطة آخر إمارة عن حكم المسلمين سنة 1492م، نقطة تحول في تاريخ المتوسط الغربي بضفتيه، حيث اتخذت اسبانيا من هذا الحدث بداية لإعادة أمجاد المسيحية في المنطقة، وتحول حوض البحر المتوسط مع بداية القرن السادس عشر إلى حلبة صراع محتدم، بين القوات المسيحية والمسلمة نتيجة نهاية الحكم الإسلامي للأندلس بعد ما يقارب ثمانية قرون (711 -1492م)، وترك معظم مسلمي إيبيريا وطنهم الأم وفرّوا إلى شمال إفريقيا لاجئين، بعد ما ذاقوا مرارة الحياة في اسبانيا الكاثوليكية، التي سرعان ما استبدّت بالتنصير الإجباري (أنظر التعليق رقم04) على اعتناق المسيحية (روجان، 2011، صفحة 44)،

ويبدوا أن المعاهدة التي أبرمت بين أبي عبد الله محمد بن علي آخر أمراء غرناطة، والملكين الكاثوليكيين لقشتالة وأراغونا، كانت بين طرفين غير متكافئين، خشي فيها فرديناند في أول الأمر عواقب التسرع في إظهار نيته الحقيقية اتجاه رعاياه الجدد، حيث لم يكن الأمن قد توطد بعد في الأراضي التي سيطر عليها، ولم يتجرد من السلاح كل أهالي غرناطة وما حولها، كما كانت السياسة الاسبانية تخشى من العرب المسلمين، وتدرك أهميتهم الاقتصادية (أنظر التعليق رقم05) في شبه الجزيرة الإيبيرية (طه، 2004، صفحة 15).

ثارت بين المسلمين والنصارى في الأندلس مع نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر حروب طويلة، عرفت بحروب الاسترداد، اتصفت بقسوتها وشدّتها، بل تزيد ضراوة عن تلك الحروب التي دارت في الشرق بين المسيحية والإسلام بادر بها الأسبان والبرتغاليون لاستهدافهم ومن ورائهم أوربا

المسيحية السيطرة على الحوض الغربي من المتوسط (رائسي، 2007، صفحة 38).

4. - التواجد العثماني بحوض المتوسط الغربي مع نهاية ق15م وبداية ق16م:

إن معيار الخلفية الاقتصادية كمنطق للقوة والسيطرة بمفهومها العالمي مع بداية القرن السادس عشر 16م، جعل البحر الأبيض المتوسط بداية بخصائصه الجغرافية منطقة ترتكز فيها كل المؤهلات التي تمكّن من الريادة الحقيقية والتّحكم الميداني، لكون الفترة تنعت بأنها عصر البحر والبحرية، إذ يلاحظ مع مطلع القرن16م أن الحوض الغربي من المتوسط كان يختلف اختلافا كليا عن الحوض الشرقي منه، ففي الوقت الذي كان المسلمون يتوسعون فيه بالمشرق على حساب المسيحيين، حدث العكس في الجبهة الغربية، فقد كانت المسيحية تزحف جنوبا على ديار الإسلام، وأخذت الأحداث تتطور لصالح هذه القوى التي تُشهر الدين أساسا للصراع (يوسف، 2009، صفحة 52).

فالتحرك الإسباني العسكري اتجاه الضفة الجنوبية من المتوسط كان ينطلق بدافع مطاردة المسلمين في شمال إفريقيا، والتمكن من ثرواتهم واحتكار التجارة التي ظل المتوسط طريقها وفضاءها العالمي لعدة قرون من الزمن، فكانت المرافئ والموانئ أهم المواقع المستهدفة منذ الوهلة الأولى لبداية القرن 16م. (العلاف، 2010، صفحة 31)

كما كانت الدولة العثمانية بعيدة عن المتوسط الغربي وعن حلقة الصراع بين المسلمين والصليبين لجهودها في الجزء الشرقي خلال القرن الخامس عشر، ومع ذلك نجد أن السلطان محمد الثاني كان يعمل جاهدا منذ ذلك الوقت، على الوصول والتحكم في نقطة ارتكاز تمكنه من الدخول إلى المنطقة، ويظهر ذلك بالفعل في سنة 1480م، عندما بدأ إرسال حملات بغية السيطرة على أراضي وجزر إيطاليا، لكنه مات قبل أكمال مخططه (سالم، 2012، صفحة 128،129).

والحقيقة أن اهتمام العثمانيين بغربي البحر المتوسط كان مبكرا، وحتى قبل مبررات وجوده مع سقوط الأندلس، فمنذ سنة 1482م كان حكّام غرناطة المسلمون قد طلبوا يد المساعدة ضد الإتحاد المسيحي المتشكل من مملكتي قشتالة وأراغونا، والذي أبدى السلطان بايزيد اهتماما به رغم كونه غير واثق من قوته

البحرية، فترك له جهود البحارة المسلمين (أنظر التعليق رقم06) في شمال إفريقيا (مصطفى، 1982، صفحة 84).

كما أن تفاقم الخطر الإسباني الصّليبي على سواحل المغرب الإسلامي الذي استهدفت دوله الثلاث "الحفصية في تونس، والزيانية بالجزائر، والمرينية بالمغرب الأقصى"، أسهم في وصول الأتراك إلى سواحل هذه البلدان من شمال إفريقيا (عمورة، 2009، صفحة 256)، وقد أيقن الإسبان أنهم أكثر المتضررين من التحرك العثماني الإسلامي اتجاه المتوسط الغربي، وهو التحرك الذي سيهدد مصالحهم في المنطقة التي يحملون فيها لواء المسيحية وقيادة الإمبراطورية المقدسة سيما في النصف الأول من القرن السادس عشر (الحضيري، 2016، صفحة 09).

ففي الجزائر كان صراع الأمراء الزيانيين على العرش قد ساهم في تفكيك الدولة التي انحسر نفوذها الفعلي على تلمسان وبعض المناطق من الأجزاء الغربية، فلم يعد بوسعها مقاومة الغزاة الإسبان، فاستحكم لهم الأمر في موانئ ومدن ساحلية عدّة، في الفترة ما بين 911 -918هـ/1505 -1512م، كوهران ومرساها الكبير، وهنين وبجاية وجيجل، ومستغانم وتنس ودلّس (الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، 2010، صفحة 14).

في هذا الوقت وصل البحّارة الأتراك الإخوة بربروس إلى سواحل تونس، في حدود 910هـ/1504م، ثم أنتقل مركزهم الجهادي ضدّ الأسبان إلى حلق الوادي، التي اتخذوها قاعدة بذلوا منها جهودا كبيرة في مقارعة الإسبان، ومحاولة تحرير المدن والسواحل الجزائرية، فتمكنوا من انتزاع جيجل في 920هـ /1514م، وتلتها مدينة الجزائر في922هـ / 1516م، كما وصلوا تلمسان في السنة الموالية (بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر"الجزائر الحديثة"، 2009، صفحة 10،11)، وتراجعوا عنها بعد أن وضع العدو الإسباني يده في يد حاكمها (أنظر التعليق رقم07) ضد عروج (الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، 1965، صفحة 222).

وجرّاء هذه المعارك والاصطدامات فقد خير الدين سنده الأوّل، أخاه عرّوج في تلمسان، في معاركه ضد الإسبان المدعومين بتخاذل بقايا أمراء بني زيان، فاعتزم على إثر ذلك مغادرة الجزائر إلى الجهاد في البحار، غير أن أعيان وكبار وجهاء مدينة الجزائر ألحّوا عليه بالبقاء، وفي تلك الأثناء عرض عليهم مسألة إلحاق

الجزائر بالدولة العثمانية، حتى تكتسب بذلك الهيبة والقوة، حيث سترعاها الخلافة العثمانية الإسلامية، وتذود عنها إذ ستصبح من ممتلكاتها (بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر"الجزائر الحديثة"، 2009، صفحة 14).

توجّه وفد إلى السلطان العثماني سليم الأوّل (أنظر التعليق رقم08) لمقابلته في القاهرة (انظر التعليق رقم09)، وبعد سنة من ذهاب الوفادة إلى السلطان العثماني وصل جواب من اسطمبول في ماي 926هـ / 1519م، يحمل موقف السلطان الذي قبل بدوره العرض (شوفاليه، 2007، صفحة 41)، ووافق على تعيين خير الدّين بايلربايا على الجزائر، ودخلت بذلك الجزائر في حاضرة الدولة العثمانية، وأصبحت أول إيالة عثمانية في المغرب الإسلامي (سعدي، 2013، صفحة 376)، وتشير بعض الدراسات في هذا الشأن إلى أن السلطان سليم الأول استأنس وفرح بهذه الوفادة من أعيان الجزائر، لكونها ستمكنه من جعل شواطئ المتوسط الغربية تحت سلطته دون تكلفة أو تحرك حربي (هشام، 2009، صفحة 98).

ويصف خير الدين هذا الحدث بالنّصر التاريخي المبين فيقول في مذكراته: " تقلدت السيف وارتديت الخلعة السلطانية، ونصبت الراية الأميرية في موضع مرتفع، شعرت بسرور عارم يغمرني، لن يتمكن الإسبان من إزعاجي بعد اليوم، لأن السلطان الكبير سليم خان يسندني من ورائي، فكل ما أطلبه منه أن لا يتردد في إجابتي بكرمه و عنايته" (بربروس، 2009، صفحة 98).

وبذلك كان العثمانيون قد أسسوا جبهة متقدمة للدفاع عن الإسلام ومركزا لتنظيم جهودهم في توسيع دولتهم إلى الجهة الغربية من المتوسط، وكذا محاولة التحكم بمصير ديار الإسلام في هذه الفترة الفارقة من التبدلات التاريخية الكبرى التي يشهدها العالم بدءا من القرن السادس عشر (الكيلاني، العثمانيون والاوربيون في القرن السادس عشر، د.ت، صفحة 21)، وأضحى الأتراك المسلمون يتعاملون مع المسيحين الأوربيين تعامل الندّ للند، وقد اتّسمت القوى البحرية في ذلك بالفاعلية والإستراتيجية (كورتن، د.ت، صفحة 10).

ومما تجدر الإشارة إليه في هذه الفترة أنه بإخضاع السلطان سليم الأول للمماليك في مصر وبلاد الشام، ورث المكانة والحقوق التي كانت لهم على الحجاز، لذلك حرصا منه على رفعة وقوة مركزه الديني، تنازل له الخليفة

العباسي المتوكل عن الخلافة الإسلامية، فأصبح خليفة المسلمين، وهي المكانة التي ستمثل خلفية ومحركا رئيسا ضمن الإستراتيجية العثمانية المنتهجة في القرن السادس عشر، حيث برز الطابع الديني للدولة العثماني وتوجهات سلاطينها، سيما وقد أصبحت الحجاز ولاية عثمانية وهي التي لها اعتباراتها كمركز روحي عالمي للإسلام والمسلمين (عزب، 1999، صفحة 84).

5. العامل الديني في صراع القوى على الحوض الغربي للمتوسط خلال ق16م:

يمكن اعتبار القرن السادس عشر16م مفترقا تاريخيا لكونه سيحدد مآل توزيع القوى على طرفي العالم القديم، وكذا مواقع الأطراف المتجابهة، المتمثلة في الشرق الإسلامي العربي والغرب المسيحي الأوربي، قوتان كل منهما تتحرك بحماية الدين والحضارة في صراع عالمي حضاري وسياسي، يمثل الطبيعة المميزة لبداية الفترة الحديثة ويجعل المتوسط الغربي فضاءه وميدانه الجديد (الكيلاني، الإسلام وأوربا المسيحية من القرن11م إلى القرن16م، 2007، صفحة 94).

ويشكل زواج الملك فرديناند من الملكة إيزابيلا حدثا تاريخيا هاما توحدت فيه المسيحية الأسبانية وجعلت من خلاله ثلثا إسبانيا في يد الزوجين الكاثوليكين، في مقابل حالة التطاحن وتراجع المسلمين في الأندلس، كما يوصف هذا الزواج الديني بالمقدس منعته كثير من الدارسين لما له من تأثيرات على العالم المسيحي وعلى العالم الإسلامي، بحيث مكّن من توحيد الجهود الدينية المسيحية وتركيزها في إسقاط إمارة غرناطة (بن أشنهو، 1972، صفحة 13)، إذ مثلت هذه الأخيرة في نظر الزوجين موطن تجمع القوة الباقية من المسلمين في الأندلس، والتي مازالت تربطها صلات وثيقة بمنطقة المغرب الإسلامي وثغورها، وهو ما جعلها تمثل شغلا شاغلا للسياسة الإسبانية، وتحرك نزعة عداء الصليبية القديمة اتجاهها دونما انقطاع (عنان، 1997، صفحة 312).

فالإسبان الذين كانوا سبب إنهاء الوجود الإسلامي السياسي في الأندلس، قد صمموا على نقل الحرب الانتقامية إلى الضفة الأخرى المقابلة من المتوسط، والعثمانيون الذين استحكم أمرهم في الجزائر مع سنة 1519م بصفة رسمية (أنظر التعليق رقم10)، أصبح تمركزهم وتقدمهم الجديد هذا يمثل خطرا

مباشرا على العالم المسيحي، وبذلك فإن وجود تيارين دينين مختلفين في المتوسط الغربي في إطار الصراع عليه، سيكون من الطبيعي أن يحدث تصادما بين التيارين.

فإلى جانب التوجه الديني للملوك المسيحين فإن إسبانيا قد عرفت خلال القرن السادس عشر16م ومنذ البداية، ظاهرة تشدد عامة الناس للدين المسيحي، وتجلى ذلك في اصطفاف جميع المواطنين ضمن مخطط ملاحقة المورسكيين والوشاية بهم والمساهمة بأموالهم في دعم المسيحية، الأمر الذي يؤكد دور الجماهير ضمن السياسة الإسبانية في حركيتها الصليبية اتجاه الضفة الجنوبية للمتوسط (عدي، 2014، صفحة 22).

فالبابوية رأس المسيحية قد أصدرت من خلال الكنيسة أوامرها لجميع المسيحين بان يستمروا في دفع الضريبة الصليبية (أنظر التعليق رقم11) لدعم وتشكيل الجيوش الإسبانية، وقد جمع الرهبان والقساوسة أموالا كثيرة والتجأوا إلى بيع ذخائر الكنائس وكنوزها الثمينة لأجل التجنيد وتزويد الجيوش بالمؤونة والعتاد (المدني، 2010، صفحة 72).

ونتيجة للخطر العثماني المحدق مع نهاية القرن 15م وبداية القرن 16م، راحت أوربا تحتمي بالفكرة الصليبية كمبرر لسياساتها الجديدة، وعملت على جعلها لون العنف والضراوة في التعاطي مع المسلمين، فتكونت الأحلاف الدولية الأوربية ضد العثمانيين كقوة راعية للضفة المقابلة، وأخذت البابوية تغذيها، ومن ذلك فإن الأنظمة السياسية والملكيات الأوربية التي تدعمها وتتحالف معها البابوية هي من أعطت للحروب مع المسلمين الصفة الدينية الصليبية، سواء الدفاعية منها والهجومية (يوسف، 2009، صفحة 22).

وقد اعترف ملوك اسبانيا خلال القرن السادس عشر بحتمية تطبيق إجراءات قاسية ومفروضة في محاولاتهم لتصفية المسلمين، ومنها تخيير الأقليات الإسلامية الإسبانية بين التنصير أو الرق مدى الحياة، مع إجراءات أخرى لتفقيرهم وتجريدهم من ممتلكاتهم، ومصادرة حقوقهم الطبيعية التي تربطهم بانتماءاتهم الحضارية الدينية واللغوية، من منع تكلمهم بالعربية وارتداء ملابسهم الأندلسية، وإقامة شعائرهم الدينية، وأساليب أخرى من التضييق والانتقام وتسليط مختلف العقوبات على كل ما من شأنه أن يبرزهم كرعايا

مسلمين في بيئة كاثوليكية سياسيا (التميمي، رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني سنة 1541م، 1975، صفحة 37،38).

ومن الطبيعي أن هذه المرحلة الخطيرة التي طبعتها المعاناة الكبيرة من مسلمي الأندلس، نجدها تتميز بجو مشحون بالنزاع والعنف المستمر، والاتجاه إلى حيازة القوة البحرية وحشد السفن الحربية والأساطيل، وهي الحرب التي أطلق عليها الإسبان حروب الاسترداد، التي تبرر أساليبهم في النيل من المسلمين بمبرر استعادة أراضي المسيح التي اغتصبها أتباع الإسلام (رمضان أ.، د.ت، صفحة 26).

فالمسيحية بالنسبة لإسبانيا ومن ورائها القوى والإمارات الأوربية السائرة في مشروعها، كانت في مطلع العصر الحديث ضرورية في الصراع ضد المسلمين من أجل البقاء، حيث حققت إسبانيا ذاتها في حروب الاسترداد التي جعلت من الدين المحرك الأول والرئيس لها، والتي كانت استمرارا جوهريا لإسبانيا العصور القوطية الكاثوليكية وإسبانيا فرديناند(أنظر التعليق رقم12) وإيزابيلا (وايت، 1998، صفحة 179).

كما اتّخذ الخطاب الديني المسيحي من النبرة الصليبية ميزة له في التعبئة مع بداية القرن السادس عشر16م، تلك الدعاية التي تحولت إلى سلسلة من الغزوات على شمال إفريقيا التي تتخذ في نظرهم صورة الحرب الروحية ضد الشر، وهو الوصف الذي نعت به التمركز العثماني الإسلامي في المنطقة (هويتكروفت، 2013، صفحة 353).

ومن المعروف أن هذه الحروب كانت حروبا دينية أكثر منها عرقية، ومن أدلة ذلك ما جاء في وصية الملكة إيزابيلا (أنظر التعليق13) التي أوصت بعد طرد العرب المسيحين بالزحف إلى شمال إفريقيا وتحويل أهلها إلى المسيحية، حيث تضمنت وصيتها للأميرة ابنتها ما يلي: " إنني أرجوا من الأميرة ابنتي والأمير زوجها وآمرهما بطاعة وصايا الكنيسة المقدسة، فعليهما أن يقوما بحمايتها وأن لا يكُفّا عن متابعة فتح إفريقيا ومحاربة الكفار"، تقصد بذلك المسلمين وتوجه خلفاءها على أنهم حاملي لواء المسيحية في مشروعها وأهدافها إلى تمسيح الضفة الجنوبية من المتوسط (جبارة، 2015، صفحة 128).

أما بالنسبة للعثمانيين فإن المسألة الأندلسية ستكون قضية حيّة في أولويات السلاطين، حيث مثلت نقطة تلاق في تحركاتهم التي تسير باتجاه السيطرة على البحر المتوسط لكسب المعركة الإستراتيجية، ضد الطرف الخصم الذي يمثله الإسبان كذراع للمسيحية ولواء لها في أوربا، سيما وأن وجودهم بالمتوسط الغربي خلال القرن السادس عشر16م، جاء في إطار اعتبارات دينية ملحة في سياق الصراع بين الإسلام والمسيحية (جبارة، 2015، صفحة 129).

حيث أصبحت الجزائر باعتبارها نقطة ارتكاز للدولة العثمانية في الشمال الإفريقي، جزيرة للحضور والتحكم في البحر المتوسط ودار جهاد تنطلق منها الأساطيل المجابهة للتحرش المسيحي القادم من الضفة الأخرى المقابلة، وعينا على المضائق الكبرى ومحاور العبور وطرق المواصلات (بعلي، 2010، صفحة 37)، واتخذت مركزا إسلاميا لمقارعة أخطار الغزو الصليبي الاستعماري الأوربي، الذي حملت لواءه اسبانيا والبرتغال والمنظمة الصليبية في جزيرة مالطا، التي اشتهرت باسم فرسان القديس يوحنا، وهدف هذا الحلف منذ بدايته إلى انشاء إمارات وممالك مسيحية على طول الضفة الجنوبية للمتوسط وهي منطقة المغرب الإسلامي في الشمال الإفريقي، ومن ثمة العمل على التغلغل إلى داخل القارة (زغروت، 2011، صفحة 51).

وظل الدين طيلة السيرورة التاريخية للقرن السادس عشر16م بالنسبة لضفتي البحر المتوسط، الموجه والملون لكل الفعاليات والتحركات السياسية، حيث كانت الكنيسة تتدخل في كل شيئ، وحتى مظاهر الحياة اليومية كانت مشبعة بالدين (التميمي، الخلفية الدينية للصراع الإسباني العثماني على الأيالات المغربية في القرن16م، 1978، صفحة 06)، وهناك من يشخّص بشكل أدق هذه الفترة فيرى أن التعصب الديني والسيادة الدولية هما العاملان اللذان دفعا بالصراع البحري بين المسيحية والإسلام أو بين الدولة العثمانية ودول أوربا نحو السواحل الجنوبية للحوض الغربي من المتوسط (بازامة، 1965، صفحة 20).

وكانت الكنيسة تدعم كل التحركات العسكرية للقوات المسيحية، فتباركها وتشيد بانتصاراتها، وتجد الإشارة في ذلك أنه عندما سقطت طرابلس سنة 1510م على يد الإسبان، تهاطلت التهاني إلى الملك الكاثوليكي فرديناند مشيدة بهذا الحدث والتقدم المظفر، ومنها تلك التهنئة التي بادر بها المرشد

الأكبر في رودس"أمريكو دامبوازEmerico d'Amboise" فور ابلاغه بالحدث من نائب ملك صقلية، كما كاتبه يحثه على "مواصلة حملاته على إفريقيا خدمة لله في هذه المهمة السامية"، وقد صاحب مباركة الكنيسة حالة من الابتهاج في أرجاء إيطاليا (روسي، 1991، صفحة 176).

أما الضفة الجنوبية من المتوسط وباعتبارها من ديار الإسلام فقد كان استقرار الإخوة بربروس بها طالع خير ونجدة بالنسبة لسكان هذه الديار، وإعلان حرب وجهاد على العدو المسيحي الإسباني، إذ يورد ذلك خير الدين باشا نفسه في مذكراته قائلا:" في الوقت الذي كان فيه بيري رايس في اسطمبول، خرجت أنا وأخي في عشر مراكب كان مقصدنا مضيق سبتة الذي يقع في نهاية البحر المتوسط، على أن نمر إلى الأندلس لنقوم بإنقاذ من نقدر عليه من اخواننا في الدين، وفي هذه الأثناء وصل وفد من مدينة بجاية الجزائرية حاملا رسالة جاء فيها: " إن كان ثمة مغيث فليكن منكم أيها المجاهدون الأبطال، لقد صرنا لا نستطيع أداء الصلاة أو تعليم أطفالنا القرآن الكريم لما نلقاه من ظلم الإسبان، فنحن نضع أمرنا بين أيديكم، جعلكم الله سببا لخلاصنا بتسليمه إيانا لكم، فتفضلوا بتشريف بلدنا وعجلوا بتخليصنا من هؤلاء الكفار" (بربروس، 2009، صفحة 67)، وهذا وصف يرجح دور العامل الديني في الصراع القائم بين الضفتين، وكذا جهود البحارة الأتراك وأولويات نشاطهم منذ الأيام الأولى لوجودهم بالمنطقة.

ويقول إبن رقية التلمساني صاحب الزهرة النائرة: "قدم خير الدين رايس وأخوه عروج إلى تونس، ثم من تونس إلى جيجلة وبجاية فأخذهما، وتمكّن بجيجلة، فبعث إليهم أهل الجزائر يشكون من النصارى قائلين لهم: "سمعنا بكم أناسا تحبون الجهاد، واخذتم بجاية وجيجلة من أيدي النصارى، فهنيئا لكم أيها المجاهدون، لا بد أن تقدِموا إلينا وتخلصونا من أيدي هؤلاء الملاعين الكفرة، لأننا في محنة عظيمة وذِلة شديدة ، فلما سمع عروج رايس ذلك تحرّك وتوجه إلى الجزائر بزَوج غلائط (أنظر التعليق رقم14)" (التلمساني، 2017، صفحة 83،84).

وهو بذلك يصف الظروف الحاصلة مع بداية القرن السادس عشر16م على كونها حرب دينية، بين ديار المسيحية وديار الإسلام، وكيف شكل تحرك العنصر

التركي العثماني إلى المنطقة حدثا تعلّقت به الآمال، وتوسمت فيه الساكنة دفع الخطر ورد الضرر الذي تعاظم وقعه، بسقوط المدن الساحلية والموانئ بدءا بسقوط المرسى الكبير بوهران سنة 1505م.

وبسقوط المرسى الكبير ونظرا لحالة الضعف تبعته وهران التي سقطت يوم 29 ماي من عام 1509، وكان الملكان الكاثوليكيان في حالة انتشاء، يأملان من وراء ذلك احتلال كل منطقة الشمال الإفريقي وتنصيره، وقد كان ذلك يوما مشهودا عندهم أدوا فيه الصلوات الرهبنية وأقيمت العبادات والمهرجانات والأفراح، تبركا بالتراب الذي سوف تنشر فيه الديانة المسيحية، وكتب قائد الحملة العسكرية تقريرا عسكريا إلى الكاردينال خمينيس (أنظر التعليق رقم15) مما جاء فيه:"ها نحن الآن فتحنا نصف إفريقيا" (بن أشنهو، 1972، صفحة 49).

واستمر التعصب ولون الصليبية هذا على كل الحملات العسكرية التي استهدفت الضفة الجنوبية من المتوسط طيلة القرن السادس عشر16م، من حملة دون دييقو دوفيرا Don Diégo de Verra 1516م، إلى حملة شارلكان على تونس 1535م ومثيلتها على الجزائر 1541م، وكانت الحرب يميزها السجال، حتى معركة ليبانتو بسواحل اليونان 1571م، والتي مثلت صورة ناطقة للتصادم الإسلامي المسيحي في المتوسط (بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا 1500 -1830م، 2010، صفحة 53)، بين أساطيل الدولة العثمانية والأسطول المتشكل من التحالف المقدس بين روما ولإسبانيا والبندقية.

خاتمة:

مما سبق تناوله نخلص إلى كون الحوض الغربي من المتوسط طيلة القرن السادس عشر كان فضاءا جديدا تحول إلى أرضية للصراع بين الإسلام والمسيحية، أو حلقة مستمرة للصراع بين الشرق والغرب، الذي حسم إلى حد ما ابتداء من سنة 1453م في الجزء الشرقي من البحر الأبيض المتوسط.

كما أن الدول الأوربية وعلى رأسها اسبانيا اتخذت مع مطلع الفترة الحديثة من الدين عاملا ملحا لتحركاتها في حالة من استمرارية حلقات الحروب الصليبية، حيث ظل المقصد الديني يشكل فيها أحد أهم المبررات التي قادت بلدان أوربا لركوب المخاطر في البحار والمحيطات، وما صاحبها من جرأة وإثارة وصلت حد التضحية بالحياة.

وفي المقابل فإن بلدان العالم الإسلامي ممثلا في الدولة العثمانية ومن خلال الجزائر كقاعدة لرد الفعل، فإنها وجدت في واجهة العدو التقليدي، وهو ما حتّم عليها أن تكون دولة إسلامية تحمل لواء الجهاد وتسل سيف الصمود، أو تنصهر ضمن المشروع الصليبي الجامح لإسبانيا وأتباعها من البلدان الأوربية الأخرى.

ضف إلى ذلك أن الصدام الحضاري بين لونين مختلفين هما العالم الإسلامي و العالم المسيحي خلال القرن السادس عشر، كانت له دوافع وأوجه أخرى إضافة إلى العامل الديني، تمثلت في الدوافع الإقتصادية والسياسية، اعتبرت عوامل محددة للقوة والتأثير وفق معايير الفترة الحديثة من التاريخ.

التعليقات والشروحات:

التعليق رقم01: هو محمد الثاني المولود عام1429م، وهو السلطان السابع في سلسلة آل عثمان كما يلقب بالفاتح وأبي الخيرات تعظيما لشأنه وإقرارا لجهوده في مد نفوذ الدولة العثمانية وفتحه التاريخي لمدينة القسطنطينية، تولى الحكم عام1451م وعمره 22سنة، أقدم على إصلاحات داخلية متنوعة وعكف على تحديث الجيش خاصة ما تعلق بالمدفعية التي كانت السلاح البارز في فتح القسطنطينية، كما بنى القلعة التاريخية روملي حصار على الجانب الأوربي من البوسفور، توفي عام1459م. (الصلابي، 2014).

التعليق رقم02: أرسل السلطان محمد الثاني خبر فتح القسطنطينية إلى حكام الديار الإسلامية، واصفا إياه بالنصر العظيم، ومنهم السلطان المملوكي في مصر وحكام الحرمين الشريفين، وأخبرهم بما أقدم عليه من تحويل الكنائس إلى مساجد، كما تليت رسالته أمام الكعبة الشريفة ووزعت بعض الصدقات والعطايا التي بعث بها على الفقراء والمساكين. (عبد الله، 1995، صفحة 54).

التعليق رقم03: أصل الكلمة يوناني، وتعني"الحكمة الإلهية"ويقال أنه اسم لقديسة قبطية مصرية، اعتنقت المسيحية وعُرفت بالتزامها لتعاليمها، فقام الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الأكبر بنقل جثمانها إلى مدينة القسطنطينية ودفنه، ومنه تولت القديسة هيلانة زوجة القيصر الروسي بناء الكنيسة حول قبرها في عام 360م، فحملت اسم دفينتها، كما أن هناك رواية أخرى تربط أصل المرأة أيا صوفيا بروما، دمرت الكنيسة وأعيد بناؤها لعدة مرات، آخرها سنة 537م في عهد الإمبراطور جوستينيان، وفي يوم 29ماي 1453م تاريخ

فتح السلطان العثماني محمد الثاني ودخوله مدينة القسطنطينية أمر بإقامة الآذان فيها وتحويلها إلى مسجد، وتقول رواية أن الرهبان والقساوسة يومها فرّوا خوفا واختبؤوا في سراديب الكنيسة، فأعطاهم محمد الثاني الأمان وطلب من القس الذي فتح له باب أياصوفيا أن يطمئنهم وأوصى لهم بالأمن والأمان (اسماعيل، 2010، صفحة 05،06).

التعليق رقم04: مورست كل أساليب الاضطهاد وصور الانتقام والملاحقة لمسلمي الأندلس رغم كون معاهدة الاستسلام تتضمن تعهد الأسبان بضمان أمن الأفراد والجماعات وحرية الدين والمعتقدات، وكانت حملة تطهير للمسلمين جعلت من غرناطة سجنا للانتقام، ثم اسست محاكم التفتيش لملاحقة الذين يضمرون إسلامهم ويدينون غير المسيحية، وهو ما يؤكده الملك الكاثوليكي فرناندو لخليفته شارل الخامس يحثه فيها على اختيار محققين اكفاء ومخلصين للكاثوليكية (يحياوي، 2004، صفحة 71).

التعليق رقم05: يعيب كثير من الباحثين على اسبانيا وملوكها سياسة الانتقام التي طالت الأندلسيين دونما التفكير في تبعاتها الاقتصادية والحضارية، لكون الفطنة والنباهة والتحكم التي تحلى بها المرسكيون، في فنون الزراعة والصناعة والري وغيرها، كان من شانها أن تجعل اسبانيا منارة لأوربا الحديثة، لكن السياسة الإسبانية راحت تغفل هذا الجانب وأخذت تنظر بمنظار الانتقام والتعصب، فدفعت بمجموعات بشرية هامة ومؤثرة إلى الطرد والتهجير والملاحقة بدل استغلالها، وهو ما انعكس عليها سلبا فيما بعد (يحياوي، 2004، صفحة 49).

التعليق رقم06: هم الإخوة بربروسا، البحارة الذين ذاع صيتهم في المتوسط الغربي مع نهاية القرن15م، والدهم يدعى يعقوب آغا إبن عبد الله آغا، والدهم وجدهم ضباط فروسية، جاءوا من بالكيسير جنوب بحر مرمرة، أخذوا أراض من الدولة لإصلاحها في شبه جزيرة غاليبولي أي الجزء الأوربي من تركيا(تراقيا الغربية)، ونتيجة مشاركة والدهم يعقوب في فتح جزيرة ميديللي سنة 1462م، أعطي له فيها أراض أوسع، فتزوج من إحدى بنات ميديللي اليونانية، وأنجب خمسة أبناء، أربعة منهم اشتهروا في التاريخ وهم على التسلسل "إسحاق، عروج، خضر(خير الدين)، وإلياس"، فأطلق على أشهرهم "عروج وخير الدين" لقب

بربروس، الذي يعتقد أنهم لقبوا به لكونهم حمر اللحى (أوزتونا، 1988، صفحة 239).

التعليق رقم07: مع دخول عروج لتلمسان سارع حاكمها أبو حمو الثالث إلى طلب المدد والسند من الإسبان، الذين دعموه وجلبوا قواتهم في ربيع 1518م، وأمام تأخر الدعم والمؤازرة لعروج اضطر إلى الخروج منها، ووقع في قبضة الجنود الأسبان بضواحي الوادي المالح بمدينة تموشنت حاليا فاستشهد (المدني، تلمسان بين الزيانيين والعثمانيين، 1972، صفحة 42،43).

التعليق رقم08: هو تاسع سلاطين الإمبراطورية العثماني، اسمه ياوز سليم الأول ولد عام 1467م وتقلد الحكم عام 1512م، استطاع إخماد تمردات إخوته لأجل الاستيلاء على الحكم، ونجح في توسيع رقعة الدولة في الشام ومصر بإخضاع المماليك، فكان أول من لقب بالخليفة، في آخر حكمه وصل نطاق دولته إلى جهة المتوسط الغربي بسواحل افريقيا الوسطى حيث أعلنت الجزائر ضمن أراضي الإمبراطورية العثمانية، وتوفي سنة1520م (آصاف، 1995، الصفحات 56 -59).

التعليق رقم09: يذكر المؤرخ عبد الجليل التميمي من خلال الرسالة التي حصل عليها لأهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول 1519، أن من ترأس الوفادة وحمل الرسالة هو أبو العباس احمد بن القاضي، عينه خير الدين سفيره في هذه المأمورية للباب العالي، نتيجة اقتراح أعيان أهالي الجزائر (التميمي، أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول1519م، 1976، الصفحات 116 -121).

التعليق رقم10: أورد المؤرخ التونسي الأستاذ عبد الجليل التميمي ترجمة الرسالة التي تضمنت أول اتصال رسمي ومباشر من أهالي وأعيان مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول؛ كما قدم لها ظروفها وسياقها التاريخي بنزر من التحليل. غير أن ما يلفت فيها أنها كتبت في الأصل باللغة العثمانية وهو ما يجعلنا نطرح التساؤل هل كانت بإملاء وإيعاز من خير الدين، أم أنها كتبت بلغة السلطان العثماني من طرف وجهاء وأعيان الجزائر عرفانا بشأن دولته وقوته (التميمي، أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول1519م، 1976، صفحة 21).

التعليق رقم11: عرفت هذه الضريبة باسم CRUSADA، وقد فرضتها الكنيسة بطلب من ملوك إسبانيا على عامة الناس من أجل الحروب على شعوب إفريقيا (المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492 -1792م، 2010، صفحة 72).

التعليق رقم12: فرديناند الخامس (1452 -1516م) ملك أراغونا من 1479م حتى وفاته، تزوج الأميرة إيزابيلا ملكة قشتالة عام 1469، وهو فرديناند الثاني، وأطلق عليه فرديناند الخامس لما رقيت زوجته من أميرة إلى ملكة، عرف بالكاثوليكي وكان سببا في القضاء على آخر أسرة إسلامية حاكمة في الأندلس عام 1492م (البعلبكي، 1992، صفحة 320).

التعليق رقم13: إيزابيلا الأولى (1451 -1504م) ملكة قشتالة (1474 - 1504)، تزوجت من فرديناند الثاني ملك أراغونا عام 1469م وهو الزواج الذي توحدت به إسبانيا كلهل تقريبا، ساعدت كولمبس في رحلته عام 1492م، وتعرف بإيزابيلا الكاثوليكية (البعلبكي، 1992، صفحة 80).

التعليق رقم14: جمع غلياطة أو غليوت Galyot، والغلياطة هي السفينة الشراعية الصغيرة تشبه مقدمتها ظهرها أو جزءها الخلف (صابانا، 2000، صفحة 157).

التعليق رقم15: راهب كاثوليكي كان أسقف كنيسة طليطلة، عرف بغلوه في التحرشات على سواحل الشمال الإفريقي التي روج لها رغبة جامحة في نصرة الصليبية، وأخذ يجمع الاموال ويبيع العطايا حتى تلك الثمينة من الأديرة والكنائس (المدني، 2010، صفحة 73).

المراجع:

إبراهيم خليل العلاف. (2010). تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني1516 -1916م. العراق: إبن الأثير للطباعة.

إبن رقية التلمساني. (2017). الزهرة النائرة فيما جرى للجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة (الإصدار الأول). (تحقيق، خير الدين سعيدي) الجزائر: أوراق ثقافية للنشر والتوزيع.

أحمد توفيق المدني. (2010). حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492 -1792م. الجزائر: وزارة المجاهدين.

أحمد توفيق المدني. (1972). تلمسان بين الزيانيين والعثمانيين. مجلة الأصالة ، صفحة 42،43.

أحمد رمضان. (د.ت). تاريخ فن القتال البحري بالمتوسط. مصر: هيئة الأثار المصرية.

أحمد سالم. (2012). استراتيجية الفتح العثماني (الإصدار الأول). مصر: مؤسسة شباب الجامعة.

إلبير أورتايلي. (2014). العثمانيون في ثلاث قارات (الإصدار الأول). (ترجمة، عبد القادر عبد اللي) لبنان: الدار العربية للعلوم والنشر.

الناصر رائسي. (2007). العلاقات العثمانية الأوربية في القرن السادس عشر (الإصدار الأول). لبنان: دار الهادي للطباعة والنشر.

أندرو هويتكروفت. (2013). تاريخ الصراع بين عالم المسيحية وعالم الإسلام (الإصدار الأول). (ترجمة، قاسم عبده قاسم) مصر: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.

إيتوري روسي. (1991). ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911 (الإصدار الثاني). (ترجمة، خليفة محمد التليسي) مصر: الدار العربية للكتاب.

تيسير جبارة. (2015). تاريخ الدولة العثمانية 1280 -1924م. فلسطين: جامعة القدس المفتوحة.

جون باتست وولف. (2015). الجزائر وأوربا 1500 -1830م (الإصدار طبعة خاصة). (ترجمة، أبو القاسم سعد الله) الجزائر: عالم المعرفة.

جمال يحياوي. (2204). سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين 1492 -1610م. الجزائر: دار هومة للنشر والتوزيع.

حفناوي بعلي. (2010). صورة الجزائر في عيون الرحالة وكتابات الغربيين. الأردن: دروب للنشر والتوزيع.

خالد عزب. (1999). لقب خادم الحرمين الشريفين. مجلة الإجتهاد ، صفحة 84.

خير الدين بربروس. (2009). مذكرات خير الدين بربروس. (ترجمة، محمد دراج) الجزائر: دار الأصالة.

سعيد عدي. (2014). المغرب والعالم المتوسطي"دراسات في العلاقات الدولية المغربية بين القرنين16و20م". الرباط، المغرب: دار الأمان.

سهيل صابانا. (2000). المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية. السعودية: مكتبة الملك فهد.

سهيل طقوس. (2013). تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة (الإصدار الثالث). لبنان: دار النفائس.

سوادي هشام. (2009). البحرية الجزائرية خلال القرن السادس عشر. (مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، المحرر) أعمال الملتقى الدولي الموانئ الجزائرية عبر العصور ، 98.

سيد علي اسماعيل. (جويلية 2010). أيا صوفيا"الكنيسة، المسجد، المتحف". مجلة تراث ، الصفحات 5 -6.

شمس الدين الكيلاني. (2007). الإسلام وأوربا المسيحية من القرن11م إلى القرن16م. سوريا: الهيئة السورية العامة للكتاب.

شمس الدين الكيلاني. (د.ت). العثمانيون والاوربيون في القرن السادس عشر. مجلة الإجتهاد ، صفحة 21.

صالح عباد. (2012). الجزائر خلال الحكم التركي1514 -1830م. الجزائر: دار هومة.

ضحى عبد المنعم. (1990). الشرق الإسلامي زمن المماليك والعثمانيين. مصر: دار العربي.

عبد الجليل التميمي. (1978). الخلفية الدينية للصراع الإسباني العثماني على الأيالات المغربية في القرن16م. المجلة التاريخية المغربية ، صفحة 06.

عبد الجليل التميمي. (جويلية 1976). أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول1519م. المجلة التاريخية المغربية ، الصفحات 116 -121.

عبد الجليل التميمي. (1975). رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني سنة 1541م. المجلة التاريخية المغربية ، 37 -38.

عبد الحميد بن أشنهو. (1972). دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر. الجزائر: الطباعة الشعبية للجيش.

عبد الرحمان الجيلالي. (1965). تاريخ الجزائر العام (المجلد الثاني). لبنان: دار الحياة.

عبد الرحمان الجيلالي. (2010). تاريخ الجزائر العام (المجلد الثالث). الجزائر: دار الأمة.

عبد الرحيم مصطفى. (1982). في أول التاريخ العثماني (الإصدار الثاني). لبنان: دار الشرق.

عبد العظيم رمضان. (1997). تاريخ أوربا والعالم في العصر الحديث (المجلد الأول). مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

عبد الواحد طه. (2004). حركة المقاومة العربية في الأندلس بعد سقوط غرناطة (الإصدار الأول). ليبيا: دار المدار الإسلامي.

عبداللطيف ع الله. (1995). قيام الدولة العثمانية (الإصدار الثاني). مكة، السعودية: مطابع النهضة.

عثمان سعدي. (2013). الجزائر في التاريخ. الجزائردار الأمة.

عمّار عمورة. (2009). الجزائر بوابة التاريخ"الجزائر من ما قبل التاريخ إلى 1962م" (المجلد الأول). الجزائر: دار المعرفة.

فتحي زغروت. (2011). العثمانيون ومحاولة إنقاذ مسلمي الأندلس 1492 -1609م (الإصدار الأول). مصر: الاندلس الجديدية للنشر والتوزيع.

فيليب كورتن. (د.ت). العالم والغرب"التحدي الاوربي والإستجابة فيما وراء البحار في عصور الإمبراطوريات". (ترجمة، رضوان السيد) الرياض، السعودية: العبيكان للنشر والتوزيع.

كورين شوفاليه. (2007). الثلاثون سنة الأولى لقيام مدينة الجزائر 1510 -1541م. (ترجمة، جمال حمادنة) الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

عزتلو يوسف بك آصاف. (1995). تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن. القاهرة، مصر: مكتبة مدبولي.

محمد سي يوسف. (2009). أمير أمراء البحر علج علي. الجزائر: دار الأمة.

محمد عبد الله عنان. (1997). دولة الإسلام في الأندلس (الإصدار الرابع). مصر: مطابع الخانجي.

محمد علي الصلابي. (2014). السلطان محمد الفاتح. لبنان: الدار العربية للعلوم والنشر.

محمد مصطفى بازامة. (1965). ليبيا في عشرين سنة من حكم الإسبان1510 -1530م. طرابلس، ليبيا: الفرجاني للنشر والتوزيع.

منير البعلبكي. (1992). معجم أعلام المورد (الإصدار الأول). لبنان: دار العلم.

مونتغمري وايت. (1998). في تاريخ إسبانيا الإسلامية (الإصدار الثاني). (ترجمة، محمد رضا المصري) لبنان: شركة المطبوعات.

ناصر الهادي الحضيري. (مارس 2016). الهجمات الصليبية عللى بلاد المغرب الإسلامي واستدعائها لتأسيس أيالات المغرب العثمانية 1492 -1574م. المجلة الليبية العالمية ، صفحة 09.

يحيى بوعزيز. (2009). الموجز في تاريخ الجزائر"الجزائر الحديثة" (المجلد الثاني). الجزائر: دار البصائر.

يحيى بوعزيز. (2010). علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا 1500 -1830م. الجزائر: وزارة المجاهدين.

يلماز أوزتونا. (1988). تاريخ الدولة العثمانية (الإصدار الأول، المجلد الاول). (ترجمة، عدنان موسى سليمان) تركيا.

يوجين روجان. (2011). العرب من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر (الإصدار الأول). (ترجمة، إبراهيم الجندي) مصر.